المحاضرة الرابعة

بدايات الوحي ونزول القرآن منجّما

أولا: بدايات الوحي.

كانت بداية الوحي لرسول الله ﷺ عن طريق الرؤيا، فكان كلما رأى رؤيا تحققت تلك الرؤيا، وجاءت واضحة بيّنة مثل فلق الصبح، وكان ذلك تمهيدا للنبي ﷺ حتى أرسل الله له جبريل عليه السلام وهو في غار حراء، فأوحى إليه ما أوحى، وكان ذلك أول مرة ينزل فيها القرآن الكريم، وكان أول ما نزل منه الآيات الأولى من سورة العلق.

وقد روت لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها – في هذا الباب – حديثا مطولا **يسمى حديث الوحي**، وهو حديث صحيح، رواه الإمام البخاري وغيره من أئمة الحديث وهو كالآتي:

عن أُمّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ

وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ وَاللهِ، مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِين عَلَى نَوَائِبِ الْحَقّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرءًا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَبَرِ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى عليه السلام، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ؛ أَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا"[1].

(1) أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، أولها: كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى الرسول *، الحديث رقم: 03.

ثانيا: نزول القرآن الكريم منجّما.

01 – معنى التنجيم: التنجيم في **اللغة** هو: التفريق والتوزيع، فعله: نجّم، وأنجم أي: فرّق ووزّع، يقال: نجّمت المال، إذا فرقته ووزعته[2]، أما **اصطلاحا** فهو: نزول القرآن على دفعات شتّى، مفرقا أجزاء أجزاء على النبي ﷺ طيلة فترة البعثة.

والدليل على نزول القرآن الكريم منجما، قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ الإسراء: ١٠٦.

وقوله أيضا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ الفرقان: ٣٢.[3]

وحديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - السابق؛ وهو قوله: "إنّه أنزل في رمضان في ليلة القدر، وفي ليلة مباركة جملة واحدة، **ثم أُنزل على مواقع النجوم ترتيلا في الشهور والأيام**"[4].

02 – الحِكم والفوائد من نزول القرآن الكريم منجّما.

أ – تثبيت قلب النبي ﷺ، لأنه كان يواجه عدوانا شديدا من قومه، ويتلقى منهم ألوانا من الأذى والاضطهاد والتثبيط، وهذا ما قد يشعره باليأس والفتور، فكان

(2) المفردات للأصفهاني، ج: 02، ص: 625.

(3) مناهل العرفان، ج:01، ص: 52.

(4) سبق تخريجه.

الوحي ينزل عليه مرة بعد مرة؛ ليثبت فؤاده، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ الفرقان: ٣٢.

ب – تيسير حفظه وفهمه، لأن القرآن الكريم أنزل على قوم أغلبهم أمّيين، لا يقرءون ولا يكتبون، ولو نزل عليهم القرآن الكريم جملة واحدة لصعب عليهم أن يحفظوه، ولكن لما كان ينزل شيئا فشيئا؛ سهل عليهم حفظه.

ج – التدرج في التشريع، لأن القرآن الكريم فيه جملة من الأوامر والنواهي، ولأن الناس كانوا على عقائد وأعمال فاسدة زمنا طويلا، فكان من الصعب أن توجّه إليهم هذه الأوامر والنواهي دفعة واحدة، قالت عائشة رضي الله عنها: "...إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا..." [5].

د – تقديم إجابات على شبهات المشركين، لأنهم جابهوا الدعوة بحملات تشكيكية عنيفة، وقد أثاروا جملة من الشبهات قصد إبطال الدعوة التي جاءهم بها النبي ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الفرقان: ٣٣، أي: ولا يقولون قولا يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، الدامغ له، وهو أبين وأوضح وأفصح من مقالتهم[6].

هـ – تقديم إجابات عن أسئلة المسلمين، لأنهم كانت تعرض لهم مسائل لا يعلمون حكم الشرع فيها فيذهبون إلى رسول الله ﷺ ويسألونه عنها، فيتولى القرآن الكريم الإجابة عنها

---

(5) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم: 4707.

(6) تفسير ابن كثير، ج: 10، ص: 304.

وكانت تلك الآيات تنزل مصدّرة بقوله تعالى: "يسألونك"، مثل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ١٨٩، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٨٧، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الأنفال: ١.

و – الإشارة إلى وجه من وجوه الإعجاز، وذلك في ترتيب آياته، لأن ترتيب النزول غير الترتيب الذي استقر في المصاحف، فمثلا: تعتبر سورة العلق من السور الأولى في ترتيب النزول ولكنها من السور الأخيرة في ترتيب المصحف الشريف، وهذا وجه من وجوه الإعجاز، حيث كانت آيات السورة الواحدة تنزل متباعدة جدا من حيث الزمن، ولكن ذلك لا يخلّ بتناسقها وتناسب سياقها في السورة، كما حصل مع سورة البقرة[7].

(7) انظر: **مباحث في علوم القرآن** للدكتور محمد دراجي، ص: 50-58، **ومناهل العرفان** للزرقاني، ج:01 ص: 53-61.